

العلم والخيال



رسالة بغداد حكايات ملونة للتشكيلي علاء البلداوي

3 أقام الفنان التشكيلي علاء البلداوي معرض الشخصي الرابع حكايات ملونة ، على قاعة مؤسسة برج بابل بحضور نخبة من الفنانين والمثقفين . وافتتح المعرض نقيب الفنانين السابق صباح المدلاوي ، مشيدا بالتجربة الفنية للبلداوي ونخبة الفن التشكيلي العراقي الذي يقود التحدي من اجل الاستمرار ومواكبة الفنون المعاصرة ، رغم الظروف التي يمر بها العراق، وان ترسيخ رسوماته والوان حكايات ملونة ، عبرت عن العمق الثقافي والحضاري والتاريخي لحضارة وادي الرافدين وجسدت المرآة والطفل والحياة العامة اليومية . وأشار البلداوي الى ان ، سلسلة المعارض التشكيلية الشخصية والمشاركة حققت مواجهة الأفكار المبتعثة ، واثبات ان حضارة العراق والفن والثقافة والأدب مقومات لا يمكن الاستغناء عنها ، وتبقى الجدار الذي يمثل المهوية والأكاديمية والمهنة ، والمعرض ركز على المعالم البغدادية والإنسان والمرآة في بلاد مرت بالكثير من الأزمات لكن الحياة بقيت تسري وتتقدم.

تولستوي والاسلام

ناصر محسن المعاضيدي

بغداد

كانت أفكار تولستوي تحت على الفضيلة ومكارم الاخلاق والتسامح، وقد اتجه الى قراءة الاسلام قراءة متمعة استشف فيها الروح التي يبحث عنها والاجابة عن سؤال طرحه طويلا، عن الخلاص الروحي وعن اصلاح الروح وتهذيبها، فكانت بعض قصصه تشير الى هذه القيم الروحية التي اكتسبها من وحي قراءة حقيقية لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومعاشته مع جيرانه وعمال مزعته هم من الفلاحين الذين كان أغلبهم من الفلاحين المسلمين. جاءت بعض قصصه تحمل طابعا عربيا، واسماء عربية تمثل أحداثا تعبر عن فكره وتأثره بالإسلام وأداب المشرق، كما في قصته الطويلة ((الحاج مراد)) التي صدرت ترجمتها اخيرا للكاتب المترجم هفال يوسف، وقد كتبها تولستوي عام 1904 في بداية هذه القصة نجد وصفا بديعا لقرية (محكت) الشيشانية القابعة وسط الحقول الجبلية، ويصف تولستوي مشهد وصول الحاج مراد الى هذه القرية وصوت الاذان مصاحبا لوصوله، في اشارة الى تأثره بهذه الطبيعة وتلك الشعائر. نجد في القصة ايضا الفاظا مثل القاء السلام ورد السلام، في الحوار الذي جمع بين الحاج مراد وشيخ القرية، وكلها دلالة تشير الى ايمان تولستوي وتأثره بهذه البيئة التي عاشها في أواخر حياته.

أسير القفقاس

وفي قصة ((أسير القفقاس))، وهي احدي قصصه المختارة الصادرة اخيرا، التي جمع بعضها الكاتب والمترجم غائب طعمة فرمان، يشير تولستوي في بدايتها الى انها قصة من وحي الحقيقة تصور حياة ضباط في جبال القفقاس. وتشكل أحداث القصة تأثره الواضح بتلك المعيشة والتقارب عبر أبطال القصة وطريقة الحوار والأمثلة العربية التي جاء بها على لسان أبطال القصة، وحوار بطل القصة جيلين ورؤيته لهذا العجز الذي كان محافظا دائما على الصلاة، ويصف تولستوي مشهده بقوله: ((كان جيلين لا يراه الا حين يأتي ليصلي في المسجد))، وعلى النحو صاغ تولستوي القصة بطابع نرى فيه بوضوح ايمان الكاتب بقيم الاسلام. وقد أدرك تولستوي هذه القيم وأمن بها، ورأى في النبي الكريم صلى الله عليه وسلم اكتمال عقد الانبياء الذين اختارهم الله تعالى لنشر السلام على هذه الارض. وقال عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انه ((لم يقل انه نبي الله الوحيد، بل اعتقد ايضا بنبوة موسى وعميسى المسيح، وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم، بل يجب عليهم ان يتمموا وصايا انبيائهم))، ويذكر كيف تحمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأذى من قومه في سبيل التخلي عن دعوته، فأزاد صبورا وعزيمة حتى أتم تبليغ الرسالة. ويقول ((في دعوة محمد الأولى احتمالا كثيرا من اضطهاد اصحاب الديانات القديمة، شأن كل نبي قبله نادى أمته الى الحق، ولكن هذه الاضطهادات لم تنل عزمه، بل ثابر على دعوة أمته)).

حديثه عن النبي والصحابة

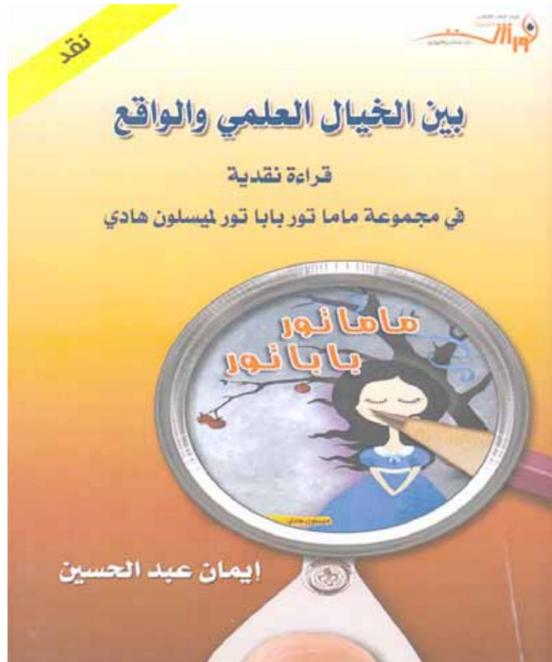
يذكر تولستوي جانباً من نشأة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومولده في عام 570، من أبوين فقيرين، وكان في حادثة عهده راعيا، مشيرا الى انه صلى الله عليه وسلم مال منذ صباه الى الخلوة والامكنة الخالية بغار حراء في الاعالي، بعيدا عن جبال مكة، وعما يدور من أحداث فيها، وهناك كان يتأمل الوجود وينظر في خلق السماوات والارض. وفي وصفه لحال الصحابة الأوائل الذين آمنوا بالرسالة في بداية اشراقها وتحملوا مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كل آذى في سبيل نشر الدعوة والدود عنها، هؤلاء الاصفياء الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا عوناً وسندا لرسوله الكريم، تحدث تولستوي عن تواضعهم وزهدهم وتخليهم عن كل مباح العيش والترف وحبهم للعمل والايثار ومساعدة الفقراء والمحتاجين، هذه القيم التي عاش تولستوي من اجلها وتمثلها في اخر ايام حياته. يقول تولستوي: ((امتان المؤمنون بتواضعهم وزهدهم في الدنيا وحب العمل والقناعة، وبدلوا جهدهم لمساعدة اخوانهم في الايمان لدى حلول المصائب عليهم، ولم يبض زمن طويل حتى أصبح الناس المحيطون بهم يحترمونهم احتراماً عظيماً ويعظمون قدرهم)).

تأمل ورحيل

هكذا تأثر تولستوي بالإسلام وبالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومثلت قيمه ومبادئه روح حقيقية طافت بهذا الفيلسوف في عالم من الروحانية، وانعكست بالتالي على صوغ أفكاره وأدبه. في آخر عشرة ايام من حياة تولستوي، اخذه التأمل الى حقيقة الوجود، وبعد تأثره بالإسلام وحياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وتمثل ذلك في بعده -كما ذكرنا- عن حياة الترف والمتع، وهروبه من كل هذه المغريات، وعيشه ما يتبقى من عمره ملازما لحياة الفلاحين في زهد وتأمل وصفاء روحي في تلك البلدة الجميلة التي تكسوها الخضرة، تاخذته المشاهدة وجواره للمسلمين الى اعتناق حقيقي لقيم الخير والسماحة والدعوة اليها، تلك القيم التي دعا اليها الاسلام، وقد أخذ يبحث عن طريق يصله بالله تعالى، فوجد غايته في الاسلام، وعاش مؤمنا يحسن الى الفقراء ويعيش في تأمل وزهد حتى وفاته. توفي تولستوي في العشرين من نوفمبر عام 1910، عن 82 عاما، اثر اصابته بالتهاب رئوي حاد أصيب به في الطريق، ودفن في حديقة ضيقة باسنايا باليانا، بعد أن رفض الكهنة دفنه وفق الطقوس الأرثوذكسية. ويبدو ان حياة تولستوي الأخيرة كانت بعيدة كل البعد عن قيم الكنيسة ومعتقداتها، هذا الامر هو ما دفعها الى رفض اعتباره مسيحيا، الامر الذي جعل البعض يظن أنه اعتنق الاسلام بالفعل في آخر أيامه، حسب رأي مترجمة معاني القرآن الكريم الى الروسية، الأدبية فاليريا بروخافا، حيث تقول: ((ان تولستوي أسلم في أواخر حياته، بعد دراسته الاسلام وأوصى بأن يدفن كمسلم، وقد استدل على قولها بأنه يلاحظ عدم وجود اشارة الصليب على شاهد قبره، كما في العرف والمعتقد المسيحي)). هكذا كانت حياة تولستوي في أخريات عمره، بحثا عن الحقيقة وهروباً بالرؤى الى افاق سريحة، وقد صاغ أدبه متأثرا بقراءاته عن الاسلام وعن سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فكان مثالا لرسالة الأديب الباحث عن السمو والصفاء الروحي وعن حب الانسانية وحريتها.



غلاف القصص



غلاف الكتاب

القصص وتبرز مقولتها الأساسية وهنا يظهر التأكيد على المقدرة الفنية للقاصّة التي سعت الى إبراز أهمية دور الكائنات الصغيرة واسباغ ما عابها من احالات (ان التفحص لأغلب قصص المجموعة يكشف عن أهمية لا يمكن تجاهلها للدور الفاعل والمؤثر الذي يوكل للكائنات الصغيرة باعتبارها علامات ومرورا تحيل إلى ما تريد القاصّة توصيله من خلالها من الحقائق والمقاصد).

تفسير النص

وكما ان المقدمة تساعد المتلقي على فهم النص وتفسيره فالناقدة تحاول باستمرار التأكيد في أكثر من موقع في المقدمة وفي المتن وحتى في عنوان الكتاب ذاته من ان المجموعة برمتها لديها هدف اساسي تسعى لتحقيقه والذي بات كالمهاجس الذي لنمسه في القصص هو ان فكرة الغرائبية والفتنارزيا والخيال تسكنها جميعا القاصّة تتناول الأشياء المتدو للمتلقي وقد اكتسبت الغرائبية، اي انها تسعى إلى ان تجعلها تتدو للمتلقي وقد اكتسبت الغرائبية، اي انها تسعى إلى ان تجعل الأشياء الواقعية تتحتمظهر بصورة غير نمطية استنادا إلى تناول الخيال العلمي الذي يظل هو كما أكدت المقدمة ايضا على ميزة تمتاز بها قصص المجموعة اعتربت ذات أهمية وهي إسقاطها التسمية باعتبارها ميزة أخرى تمزج ما بين الخيالي والواقعي (ان الخلو من التسمية لبعض الشخصيات ضرورة تفرضها المتغيرات، ويبدو أن القاصّة أرادت بعدم التسمية في بعض القصص المزج بين العنصرين الواقعي والخيالي لتنسجم والموضوع الذي اختارته، والذي يحيل الى الغموض دون الوضوح، والغياب دون الحضور). وفي النهاية اعترفت الناقدة على امانة القاصّة للجانب الإبداعي والمضمون معا من خلال قولها (نلاحظ بفضل وعي القاصّة النقدي انها تسعى في أغلب القصص ان تكون امينة للجانب الإبداعي الفني وامينة للمضمون الذي تريد طرحه، من خلال البحث عن طريقة تحقق فيها هذه المعادلة).

وأخيرا لا بد من القول والتأكيد انني اتفق مع الناقدة في ان ما تتضمنته المجموعة من إشارات في مجالات عديدة تحاول القاصّة استثمارها دالة على حمولة معرفية وعلى سعة المخزون الثقافي والعلمي لديها، كما اؤكد ما طرحته في البداية بأنه لا شيء أدل على اهتمام الناقدة في كتاب ما هو من خلال اختياره ميدانا للقراءة والتحليل.

استهلالها لمضامين القصص وان الناقدة حاولت من خلال المقدمة الوصول إلى أسرار النص ومقاصده، والتي اتخذته باب للولوج الى قراءة المجموعة فجاءت المقدمة شهادة توثيقية متصلة بالمتن، مضيفة مكونات القصص، وكانت بمثابة تمهيد لقراءتها، شرحت فيها صورتها ورؤيتها حول كل قصة، وعلى العموم قد حددت الاطاحة في المقدمة بمجمل المجموعة من خلال عدد من النقاط حاولت في كل نقطة من النقاط تسليط الضوء على جانب من الجوانب فتؤكد مرة على ترأسل القصص مع الفنون الأخرى لا سيما التشكيل والسينما بصورة خاصة فتقول (تنهل أغلب القصص من افاق جمالية متنوعة الفنون كالتشكيل والسينما وغير ذلك من الاجناس الفنية حيث يتضح الحس الشعوري للقصص من خلالها، وان القاصّة تحاول استثمار الفن التشكيلي إطارا مرجعيا تسهم من خلاله في فهم العالم الواقعي بالوان مختلفة، فضلا عن ذلك نجد توظيف الأبعاد التي ترتبط بالسينما، لما لها من مردودية شعرية، وخاصة توظيف القاصّة الكاميرا كأداة تعد أبرز طريقة في الرؤية ومنهجاً في معالجة الواقع المعاصر، إذ سعت القاصّة إلى تكرارها في بعض القصص ذلك إلى يتم من خلالها اكتناه الغوص وراء العالم اللامرئي).

نقطة تحول

وبما ان في كل نقطة تحاول تفسيرها تحتويه المجموعة من مقاصد وتحليل على القضايا المطروحة فيها وتقف على العلاقات التي تربط بين القصص جميعا، بطريقة تسهل الوصول إلى مقاصد القاصّة والتأكيد على جوانب مختلفة تمتاز بها القصص فتأكد هنا على الاهتمام بالوصف وتعد من ان المبررات في التمهيد التي تقدم فيه هو (مؤشرات على السمات التي تتصف فيها الشخصيات، اي العالم الخارجي الظاهري لها، هو من اجل ان تشكل منه اضاءة تكشف لقرائها عن باطن الشخصيات، وان هذه توظفها القاصّة لغايات فنية ونفسية ذلك من اجل توصيل هدف ما يقومون به من افعال).

كما نجد في المقدمة رؤية أخرى تبرز دور النقد باعتباره مفتاحا للتفسير والتحليل وذلك من خلال التأكيد على أكبر عدد من مزايا القصص للوصول إلى تفسير رسالتها الحقيقية والتأكيد على الوعي النقدي للقاصّة، في استغلال كل مفردة بما تحمله من دلالات تغني

قراءة في ماما تور بابا تور ليسلون هادي

كتاب بين الخيال العلمي والواقع

بان حسن

بغداد

اذا كانت القراءة هي حالة تشاركية ما بين الكاتب والقارئ، اذن فان العلاقة بينهما هي علاقة وثيقة لا يمكن لاحدهما الاستغناء فيها عن الآخر، فاذا كان الأديب يقدم العالم التخيلي عبر رؤية ما يعكسه هذا الواقع، فان هذا الواقع هو الذي يمثل الأرضية المهمة التي تقوم عليها نظرية القارئ الجاد، الذي يسعى دراسة خصائص ما يسعى قراءته و يسوغ لنفسه اقتحامه، وان تحيزه لعمل ادبي بعينه و اختياره ما وتفاعله معه ما هو الا تعبيراً عن تأكيد اهتمامه به، ومن قناعة فحواها ان هذا العمل يستحق بشكل مادته النقدية فإنه في اعتقادي كالقاص يتراوح عمله النقدي بين نسقين الأول منتزح من المادة التي يحاول قراءتها، والثاني منتزح من ذاتيته، اذن يمكننا القول ان تحليل أو قراءة نقدية لعمل ابداعي ما لا بد ان تكون في حاجة إلى أدوات دائمة لتقريب من الغاية الذي يقوم عليه النص واستخراج ما فيه من معاني، وان ماشه النقد من تطورات هو نتيجة حتمية للتطور في العمل ابداعي ذاته.

قراءة كتاب

ان هذه مقدمة للدخول الى قراءة كتاب بين الخيال العلمي والواقع قراءة في ماما تور بابا تور ليسلون هادي للناقدة ايمان عن الحسين، وانني لا بد ان اعترف ان هذا الكتاب قد استقطب اهتمامي بصورة خاصة وذلك من جانب ان ادب القاصّة والروائية ليسلون هادي الشديدي والغنى والتنوع كان ماثراهما في باعترابه ادب لا تحده ملامح فناريخ القاصّة يمتد لسنوات، وان ما استهواني في قراءة هذا الكتاب من جانب آخر هو تناول الكتاب لجانب الخيال العلمي الذي اثار فضولي واستعداني الى قراءة المجموعة القصصية بعد قراءتي للكتاب النقدي ولعل هذا يرجع لاعتبارات كثيرة اشارك بها الناقدة في قراءتها في ان ادب ليسلون هادي هو ادب من الواقع القريب الى الذات القارئة فارتد ان اقرب من جانب آخر لدى القاصّة هو تناول ادب الخيال القريب من الواقع اي التطرق الى باب يختلف عن الابواب المطروقة من قبل وهو الاتكاء على الخيال العلمي المنفرد بالواقع الماساوي، فالقاصّة تتيح للخيال إمكانية الظهور بينما تكون محتفظة بقضايا الواقع لا سيما قضايا الإنسان المعاصر وهذا ما تؤكد عليه الناقدة ايمان عن الحسين في مقدمة الكتاب التي حاولت فيها اضاءة هذه القصص واستقراءها واستكشاف عوالمها، ما تحولت المقدمة الى دراسة نقدية توضح دلالات هذه المجموعة وهذا دعانا لقراءتها وان ما أكد عليه الناقدة في البدء من ان القاصّة من أجل تكوين رؤية وحكم نقدي على الواقع الانني استعارت الخيال العلمي كأداة لنقد الوضع الاجتماعي، منطلقاً من المبدأ المسلم بدور الادب للتصدي لكل ما يصيب الحياة والمجتمع من تحولات غير طبيعية، أنها صرخة تنطلق من تراكم الخيبات والنكسات والفواجع والكوارث، وتجسيد الهوم الحياتية للإنسان المعاصر، والتي يعانيتها بسبب الاعتماد المغالي على التكنولوجيا، والوثوق المفرط بالمبتكرات العلمية، والانخراط

ومن هذا المنطلق تركزت القراءة على محورين اساسيين محور الخيال ومحور الواقع الذي حاولت ربطه بالوضع الراهن ومن هنا كان هناك تأكيد في الكتاب على ان القاصّة ليسلون هادي تحولت في هذه المجموعة من قاصّة الى ناقدة متخذة اسلوبا مغايرا من الكتابة في سبيل طرح أفكارها بحرية وتحريها من الاستناد إلى الطرائق المتداولة في طرح الواقع.

كما يلاحظ القارئ ان الناقدة ايمان عن الحسين اعتربت ان كل قصة من القصص هي رسالة تعبر عن دلالة وقائمة تحاول القاصّة توصيلها فاخذت تلاحق بذكاء ما تريد القاصّة طرحه من قيم متاخذه لكل قصة بابا في القراءة من اجل الوصول إلى رسالة الكاتبة الأقرب إلى الحقيقة فجاءت خطابات عديدة متسمة بالهدوءة والمفارقة التي لا يمكن الوصول اليها الا عبر القريب واستثماره كعمود من مقومات الكتابة المصاغة من عمق التجربة الواقعية من غير الوقوع في المباشرة ومن المحال ان نتصور من اية قصة من القصص ليس لها صلة مع السباقات الثقافية والاجتماعية للمجتمع الذي تصدر عنه هذا ما اكدت عليه القراءة برمتها (ان ما تتخصف به القصص والذي اضحي اتجاهها تحاول القاصّة التأكيد عليه، على الرغم من انها تصنف بوصفها قصصاً من الخيال العلمي فهي تضعنا في اطار فضاء يمتاح ملامحه من الواقع الانني، متخذة من اشكاليته وافرازاته منطلقاً للكتابة، وان السبب الاساسي الذي يقف وراء ذلك عائد إلى سيطرة واستحواذ صورة المجتمع الذي يبرز تحت اعينها ظروف اجتماعية وسياسية، بعبارة أخرى ان كل ما في القصة يتجسد بالرابط الدلالي بين المختل والمزج الواقعية، تاخذنا فيه القاصّة إلى التهيؤ لتسلم صورة خيالية مرتبطة بالواقع القريب الذي يمثل الإطار الذي يتم فيه مراجعة واستعادة أحداث حدثت من معطيات سابقة). وبما ان التقديم هو بمثابة عنوان